

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة، بعنوان: (التسامح)

# التسامح في الإسلام جسر وركيزة للتسامح العالمي<sup>(١)</sup>

## كيف نغرس قيم التسامح في وجدان العالم؟

### من التسامح في الإسلام إلى المفوضية العالمية للتربية على قيم التسامح كخطوة نحو سلام مستدام

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٦ ربيع الأول ١٤٤٧هـ، الموافق ٢٩ أغسطس ٢٠٢٥م

صفحة معارج الدعاة - موقع صوت الدعاة

الحمد لله الذي أمرَ بالتسامح، وجعله سبيلاً إلى الألفة والوئام والسلام، ونهى عن التعصب والشحناء والخصام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمةً للأنام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه البررة الكرام ومن تبعهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشراف الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على من جمعت كل الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ ... وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ  
مولاي صل وسلم دائماً أبداً... على حبيبك خير الخلق كلهم

(١) اعتمدنا في كتابة هذا الموضوع على: بحث التربية على قيم التسامح نحو ممارسات عملية لبناء المواطنة العالمية، د/ أحمد علي سليمان، بحث مقدم إلى: المؤتمر الثاني والثلاثون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (عقد المواطنة وأثره في تحقيق السلام المجتمعي والعالمي)، وزارة الأوقاف المصرية - تحت رعاية السيد الرئيس/ عبد الفتاح السيسي رئيس الجمهورية، فبراير ٢٠٢٢م، ص ١-١٦ بتصرف. وعلى مقالنا في مجلة الأزهر بعنوان: لماذا تزداد حاجة البشرية اليوم إلى قيم التسامح؟ القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، مجلة الأزهر، عدد رمضان ١٤٤٣هـ/ أبريل ٢٠٢٢م، ص ١٩٥٢-١٩٥٩ بتصرف.

اللهم رضه عنا، وارض عنا، برضاه عنا.. ووضئنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

**أيها المسلمون:** أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ...) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١). وقال تعالى: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).

### أما بعد... أيها المؤمنون:

من تمام فضل الله تعالى على البشر أنه لم يخلقهم ويرزقهم ويتركهم سُدى، يهيئون على وجوههم في البرية؛ بل رسم لهم -وهو أعلم بمن خلق- الطريق الذي يضمن لهم الصلاح والفلاح والرشاد، ويقيهم الهلاك والوقوع في المعاصي والذنوب، فأرسل الرسل الكرام بالرسالات المتعاقبة؛ يُبشرون، ويُنذرون، ويُنبئون للناس سبيل الله.... وكان تمام الرسالات السماوية وكماها في رسالة سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الذي أرسله الله (تعالى) رحمة للبشرية في وقت بلغت فيه شأواً غيها وضلالها.

ولقد شاءت إرادة الله الحكيم أن يكون التنوع والتعددية من أركان هذه الحياة؛ لكي يُكَمَّل بعضها بعضاً، ويسهم كل منا في إثراء الحياة.

وأراد للحياة ألا تسير على وتيرة واحدة؛ ففيها المفرحات والمخزونات.. الفقر والغنى.. الصحة والمرض.. الرخاء والابتلاءات.. فيها التحديات والمشكلات والمضايقات والمعوقات والمكدرات.. فيها المؤمن وغير المؤمن، المتكبر والمتواضع.. المتسامح والمتعصب... إلخ.

وتعامل الشخص مع الكون والحياة والإنسان، هو ما يحدد مدى رشاده ونجاحه وفلاحه، أو قنوطه وجنوحه للشر أو هزيمته النفسية... وبين هذا وذاك، فإنه يحتاج دوماً إلى مَنْ يأخذ بيده إلى جادة الصواب... ومن هنا تأتي أهمية العقل الذي ميز الله سبحانه وتعالى به الإنسان عن سائر المخلوقات، وأهمية الرسالات السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسله الكرام، بما تشتمل عليه من قيم ضابطة لفكر الإنسان ووعيه واتجاهه وسلوكه وحركته في هذه الحياة...

ومن بين هذه المبادئ والضوابط: (القيم الأخلاقية) التي جاءت تعليمات الرسالات السماوية المتعاقبة قاطبة -وآخرها الإسلام الحنيف- لتؤكد عليها، وعلى ضرورة تطبيقها وتمكينها في الحياة؛ حتى تنعم البشرية بالسلام والوثام، والإخاء والرخاء؛ ذلك لأن الأخلاق والقيم هي الضابط الداخلي، والسند والداعم الأساس للدساتير والقوانين المنظمة للعلاقات داخل المجتمعات. والقيمة عندما تستمد قداستها من العمق الديني، فإن حرية ممارستها تنبعث من أقوى المشاعر تأثيراً في حياة الإنسان.

وتمثل الأخلاق والقيم ركناً رئيساً في رسالة الإسلام التي جاء بها خير الأنام ومسك الختام سيدنا محمد (ﷺ)، هدية الله للكون وهدايته للعالمين.

وما أشد حاجة العالم إلى مثل هذه القيم، لا سيما وأن "العالم الذي يجري حولنا والكوكب الذي نعيش فيه يمضيان معاً في سياق مختلف بحكم التطور التكنولوجي الكاسح، والسرعة الفائقة في نقل الأخبار وتبادل المعلومات، بما يجعل الحياة ذات إيقاع مختلف، ويصنع من تلك الأخبار المتطيرة مبرراً للشكوك وسبباً لسوء

التأويل، وهو ما يدعو شتى الأطراف وأصحاب الرأي المختلف إلى ضرورة الوعي الكامل بالمؤثرات الجديدة التي جاء بها عالم التكنولوجيا الحديثة<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت البشرية في عصرها الراهن المخيف، تواجه تحديات جساماً، تتسم بالتواتر والتتابع والنمو وسرعة الوتيرة والتشابك والتعقيد، وإذا كانت الحضارة المتقدمة قد بلغت مبلغاً لم يسبق له نظير في التطور العلمي، وتبنيها لفلسفات أبعد ما تكون عن الإيمان، الأمر الذي أعطى إنسان الحضارة المتقدمة اليوم حالة مخيفة ومفزعرة من الزهو والكبر والغرور بالنفس، أشعره بأنه عابر لإرادة الله الخالق الواحد الأحد المدبر لهذا الكون، فدفعه غروره إلى الاعتداء الصارخ على الفطرة وعلى السنن الإلهية.

وإذا كان بعض رجال الحضارة الحديثة قد أصابهم الكبر والكبر؛ حيث وصلوا إلى القمر، وزرعوا الأقمار الاصطناعية، ونثروا أجهزة الاستشعار عن بُعد في الفضاء، وثبتوا كابلات الإنترنت في أعماق البحار والمحيطات، ونشروا موجات التقنية وتردداتها في كل مكان، وتسابقوا في اختراع آليات الموت والدمار بشكل رهيب، في ظل سعار الرأسمالية المتوحشة واستشراء الأنانية والعنصرية والكيل - ليس بمكيالين فقط كما كان من قبل، بل الكيل - بمكيالين متعددة تختلف في حجمها وأوزانها؛ على حسب ما تُمليه مصلحتهم وأنانيتهم في إطار الإمبريالية المقيتة. والسباق ما يزال محمومًا وسيظل لإحكام السيطرة على الشعوب، وفرض إرادتهم على العالم بالقوة الغاشمة من خلال امتلاك أعنى وأذكى الأسلحة (النووية - الذرية، وقنابل الإبادة الشاملة، والصواريخ العابرة للقارات، والغواصات النووية التي تدور في أعماق البحار والمحيطات على مدار الساعة، ناهيك عن الأسلحة البيولوجية التي ذاق العالم كله من حصاها المر خلال الفترة الماضية)<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا وانطلاقاً مما سبق فإن العالم كله في حاجة ماسة إلى قوة روحية جبارة، تحمل في كينونتها وفي طياتها حبوب لقاح المحبة والتعايش والسلام والانتقال من بناء المواطنة المحلية إلى بناء المواطنة العالمية والمسؤولية الكونية المشتركة عن سلامة الإنسان والحياة، وهذه القوة كائنة في القيم الضابطة لفكر الإنسان وقيمه وسلوكه، ومن أهمها قيم التسامح، وهي من القيم الإسلامية والإنسانية الكبرى التي من شأنها - حال تمكينها في الحياة - أن تُسهم في إيجاد بيئة عالمية متسامحة متعاونة منطلقة من أصل واحد (الإخوة الإنسانية والرحم المشتركة)، وقيادة سفينة البشرية إلى سواحل الرشاد، وشواطئ الأمان في إطار المواطنة العالمية.

إن العالم - والحالة هذه - في حاجة ماسة إلى أن يُفتش في تراثه وثقافته وعقائده؛ ليخرج للدنيا كل ما من شأنه تحقيق التسامح والأخوة الإنسانية والتكامل ومن ثم السلام العالمي...

والتسامح في الإسلام قيمة أصيلة تقوم على العدل والرحمة واحترام إنسانية الإنسان أيّاً كان دينه أو عرقه. وقد دعا القرآن الكريم إلى البرّ والقسط مع المخالفين في العقيدة، وجعل الرحمة شعار الرسالة المحمدية. وإذا انطلقت البشرية من هذه القيم الإسلامية، أمكن أن تُبنى جسور التسامح الدولي، ويتحقق السلم العالمي المنشود.

- (٢) د/ مصطفى الفقي: ثقافة الاختلاف، القاهرة: صحيفة الأهرام في عددها (٤٩٣٣٠)، الصادر يوم ٢٨ ديسمبر ٢٠٢١م، ص ١٠.

- (٣) ولعل الخطورة الحقيقية تكمن في:

- التسابق لصناعة مثل هذه الأسلحة التي تشكل تهديداً ليس لمئات الآلاف من البشر أو حتى الملايين فحسب؛ بل تهدد بإفناء كل الحياة والأحياء في هذا الكوكب.

- أن الردع النووي بات مناط تفاخر شعوب وقادة يحتفلون بعضوية بلدانهم فيما يُدعى "النادي النووي".

- تَحوّر بعض مالكي مثل هذه الأسلحة أو المتحكمين فيها، حيث بإمكانه بضغطة زر أن يقلب العالم ويدمره رأساً على عقب... وقد رأي العالم بعض الحكام في شرق الأرض، وفي غربها من مالكي مثل هذه الأسلحة، يلوحون بها تارة تصريحاً، وتارة تلميحاً...

وهذا الموضوع له أهميته البالغة.. وله راهنيته وضرورته التي تتنامي يوماً بعد يوم، حيث تتعاضد أهمية التسامح كمنهجية عالمية مهمة لتهذبة روع الخائفين، وبناء العلاقات الطيبة بين الأفراد والشعوب، وإطفاء سُعار الأنانية والغرور؛ حتى تستمر الحياة بسلام وأمن وأمان.

### لماذا تزداد حاجة البشرية اليوم إلى قيم التسامح؟

التسامح إيمان وأمان.. بناء ونماء.. إباء وإخاء.. وهو خُلُق الأنبياء والأولياء والأتقياء والأصفياء... والتسامح نورٌ يقذفه الله (سبحانه وتعالى) في قلوب الرحماء، وهؤلاء الذين تعلقوا به، وتوكلوا عليه، وساروا في طريقه... وهو رقة في القلوب، ونقاء في النفوس، يساعد على العيش الآمن في هذه الحياة. ومفردة التسامح من المفردات النورانية، التي تبعث الهدوء والسكينة والطمأنينة والأمل والتفاؤل في النفوس والقلوب والعقول..

لقد شاءت إرادة الله الحكيم أن يكون التنوع والتعددية من أركان هذه الحياة؛ لكي يُكَمَّل بعضها بعضاً، ويسهم كل منا في إثراء الحياة وإعمارها.

وأراد للحياة ألا تسير على وتيرة واحدة؛ ففيها المفرحات والمحزنات.. الفقر والغنى.. الصحة والمرض.. الرخاء والابتلاءات.. فيها التحديات والمشكلات والمضايقات والمعوقات والمكدرات.. فيها المؤمن وغير المؤمن، المتكبر والمتواضع.. المتسامح والمتعصب... إلخ.

وإن تعامل الشخص مع الكون والحياة والإنسان، هو ما يحدد مدى رشاده ونجاحه وفلاحه، أو قنوطه وجنوحه للشّر أو هزيمته النفسية... وبين هذا وذاك، فإنه يحتاج دوماً إلى مَنْ يأخذ بيده إلى جادة الصواب... ومن هنا تأتي أهمية العقل الذي ميز الله سبحانه وتعالى به الإنسان عن سائر المخلوقات، وأهمية الرسائل السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسله الكرام، بما تشتمل عليه من قيم ضابطة لفكر الإنسان ووعيه واتجاهه وسلوكه وحركته في هذه الحياة...

ومن بين هذه المبادئ والضوابط: (القيم الأخلاقية) التي جاءت تعليمات الرسائل السماوية المتعاقبة قاطبة -وآخرها الإسلام الخفيف- لتؤكد عليها، وعلى ضرورة تطبيقها وتمكينها في الحياة؛ حتى تنعم البشرية بالسلام والوئام، والإخاء والرخاء؛ ذلك لأن الأخلاق والقيم هي الضابط الداخلي، والسند والداعم الأساس للدساتير والقوانين المنظمة للعلاقات داخل المجتمعات. والقيمة عندما تستمد قداستها من العمق الديني، فإن حرية ممارستها تنبعث من أقوى المشاعر تأثيراً في حياة الإنسان.

وتمثل الأخلاق والقيم ركناً ركيناً في رسالة الإسلام التي جاء بها خير الأنام ومسك الختام سيدنا محمد (ﷺ)، هدية الله للكون وهدايته للعالمين.

وما أشد حاجة البشرية إلى مثل هذه القيم، لا سيما وأن "العالم الذي يجري حولنا والكوكب الذي نعيش فيه يمضيان معاً في سياق مختلف بحكم التطور التكنولوجي الكاسح، والسرعة الفائقة في نقل الأخبار وتبادل المعلومات، بما يجعل الحياة ذات إيقاع مختلف، ويصنع من تلك الأخبار المتطيرة مبرراً للشكوك وسبباً لسوء التأويل، وهو ما يدعو شتى الأطراف وأصحاب الرأي المختلف إلى ضرورة الوعي الكامل بالمؤثرات الجديدة التي جاء بها عالم التكنولوجيا الحديثة"<sup>(٤)</sup>.

وإذا كانت البشرية في عصرها الراهن المخيف، تواجه تحديات جساماً، تتسم بالتواتر والتتابع والنمو وسرعة الوتيرة والتشابك والتعقيد، وإذا كانت الحضارة المتقدمة قد بلغت مبلغاً لم يسبق له نظير في التطور العلمي، وتبنيها

لفلسفات بعيدة عن الإيمان، الأمر الذي أعطى إنسان الحضارة المتقدمة اليوم حالة مخيفة ومفرعة من الزهو والكبر والغرور بالنفس، أشعره بأنه عابر لإرادة الله الخالق الواحد الأحد المدبر لهذا الكون، فدفعه غروره إلى الاعتداء الصارخ على الفطرة وعلى السنن الإلهية.

وإذا كان بعض رجال الحضارة الحديثة قد أصابهم الكِبَرُ والكِبَرُ؛ حيث وصلوا إلى القمر، وزرعوا الأقمار الاصطناعية، ونثروا أجهزة الاستشعار عن بُعد في الفضاء، وثبتوا كابلات الإنترنت في أعماق البحار والمحيطات، ونشروا موجات التقنية وتردداتها في كل مكان، وتسابقوا في اختراع آليات الموت والدمار بشكل رهيب، في ظل سعار الرأسمالية المتوحشة واستشراء الأنانية والعنصرية والكيل الظالم الجائر بمكاييل متعددة تختلف في حجمها وأوزانها؛ على حسب ما تُمليه مصالحهم وأنانيتهم.

والسباق ما يزال محمومًا وسيظل لإحكام السيطرة على الشعوب، وفرض إرادتهم على العالم بالقوة الغاشمة من خلال امتلاك أعنى وأذكي الأسلحة (النووية - الذرية، وقنابل الإبادة الشاملة، والصواريخ العابرة للقارات، والغواصات النووية التي تدور في أعماق البحار والمحيطات على مدار الساعة، ناهيك عن الأسلحة البيولوجية التي ذاق العالم كله من حصاها المر خلال الفترة الماضية)<sup>(٥)</sup>.

ومن هنا وانطلاقاً مما سبق فإن العالم كله في حاجة ماسة إلى قوة روحية جبارة، تحمل في كينونتها وفي طياتها حبوب لقاح المحبة والتعايش والسلام والانتقال من بناء المواطنة المحلية إلى بناء المواطنة العالمية التشاركية الجامعة والمسؤولية الكونية المشتركة عن سلامة الإنسان والحياة، وهذه القوة كائنة في القيم الضابطة لفكر الإنسان وقيمه وسلوكه، ومن أهمها قيم التسامح، وهي من القيم الإسلامية والإنسانية الكبرى التي من شأنها - حال تمكينها في الحياة - أن تُسهّم في إيجاد بيئة عالمية متسامحة متعاونة منطلقاً من أصل واحد (الإخوة الإنسانية والرحم المشترك)، وقيادة سفينة البشرية إلى سواحل الرشاد، وشواطئ الأمان.

إن العالم - والحالة هذه - في حاجة ماسة إلى أن يُفتش في تراثه وثقافته وعقائده؛ ليخرج للدنيا كل ما من شأنه تحقيق التسامح والأخوة الإنسانية والتكامل ومن ثم السلام العالمي...

وهذا الموضوع له أهميته البالغة.. وله راهنيته القصوى في ظل ما يشاهده العالم في هذه الأيام من استعراض بعضهم القوة العسكرية بغرور.. وله أيضاً ضرورته التي تتنامى يوماً بعد يوم، حيث تتعاظم أهمية التسامح كمنهجية عالمية مهمة لتهدئة روع الخائفين، وبناء العلاقات الطيبة بين الأفراد والشعوب، وإطفاء سُعار الأنانية والغرور والحروب؛ حتى تستمر الحياة بسلام وأمن وأمان.

### معنى التسامح:

التسامح في اللغة مأخوذ من: سَمَحَ، يَسْمَحُ، سَمَحًا وَسَمَاحًا وَسَمَاحَةً، فهو سَامِحٌ، والمفعول مَسْمُوحٌ له. سَمَحَ الشَّخْصُ: أي لان وسهّل، وقيل: صار متساهلاً كريماً، ويأتي بمعنى انقاد بعد استصعاب، جاد وأعطى عن كرم وسخاء. والسَّمَاحَةُ أي الجود والسخاء، وسامحه: أي صفح عنه، وسمح له بحاجة أي وافق عليها ويسرّها له. وسَمَحَ فلانٌ: بذّل في العُسْرِ واليُسْرِ عن كرم وسخاء<sup>(٦)</sup>.

(٥) ولعل الخطورة الحقيقية تكمن في:

- التسابق لصناعة مثل هذه الأسلحة التي تشكل تهديداً ليس لمئات الآلاف من البشر أو حتى الملايين فحسب؛ بل تهدد بإفناء كل الحياة والأحياء في هذا الكوكب.  
- أن الردع النووي بات مناط تفاخر شعوب وقادة يحتفلون بعضوية بلدانهم فيما يُدعى "النادي النووي".  
- تَحوُّر بعض مالكي مثل هذه الأسلحة أو المتحكمين فيها، حيث بإمكانه بضغطة زر أن يقلب العالم ويدمره رأساً على عقب... وقد رأى العالم بعض الحكام في شرق الأرض، وفي غربها من مالكي مثل هذه الأسلحة، يلوحون بما تارة تصرّيحاً، وتارة تلميخاً...  
(٦) انظر: المعجم الوسيط، مختار الصحاح، المعجم الرائد، معجم المعاني الجامع، مادة (سمح).

ومفهوم التسامح يعني: الاعتراف المتبادل بالحق في الاختلاف، والتسليم بالتنوع، تحت سقف الهوية (الوطنية والعالمية الجامعة)، والاعتراف بالآخر المختلف عنا ديناً أو سياسة أو ثقافة أو لغة أو هوية... إلخ، والتعامل معه بانفتاح، دون تمهون في العدالة وحقوق الإنسان.

ونقيض التسامح: التعصب والغلو والإقصاء ورفض الآخر والعنف والاستبداد والتحریم والتكفير وتقييد الفكر ومصادرة الرأي<sup>(٧)</sup>... وغير ذلك من المعاني. وهكذا، فإن قيم التسامح قيم أخلاقية، بأبعاد فكرية وسياسية واجتماعية وثقافية.

وإذا كانت التعريفات الكلاسيكية تركز على الجانب الأخلاقي في التسامح وعلى قيمته الفردية، فإن النظريات الحديثة أعطت هذا المفهوم أبعاده القانونية والحقوقية والاجتماعية، وترى أنه فضيلة جوهرية وقيمة حقوقية، وبأنه سمة عقلية أو عادة ذهنية، أو بوصفه نسقا من السلوك والقيم الأساسية، أو نوعاً من الفعاليات الثقافية الممكنة، فالتسامح هو رد فعل ممكن من بين ردود محتملة في مواجهة التعدد والاختلاف.

وبالتالي فإن التسامح ينطوي على المعيار الذي نستطيع من خلاله التحكم والسيطرة على ردود أفعالنا في مواجهة الآخر، أي أنه المنهج الذي نعتمده في تنظيم الاستجابات للاختلاف مع الآخر على نحو سلمي بالمشاركة مع الأطراف المعنية وذلك انطلاقاً من مبدأ المساواة في الحقوق للجميع دون استثناء.

فالتسامح يمارس دوره في عملية تنظيم السلوك وتوجيه الخيارات الشخصية المسالمة في مسار المواجهات والتحديات التي تفرضها معايير التعامل مع الآخر وهذا يعني أن التسامح يشكل عمق توافق ديمقراطي بعيد الأغوار والدلالة<sup>(٨)</sup>.

## أنواع التسامح:

- التسامح من المفاهيم التي تشمل معظم جوانب الحياة، ومن ثم فهناك أنواع متعددة للتسامح، منها:
  - التسامح الفكري والثقافي: ويتمثل في الانفتاح العقلي، والإقرار بحق الاختلاف، والحرية العقلية، وعدم معاداة الأشخاص والفئات لدواعي الاختلاف الفكري والثقافي والحضاري، ويشمل أيضاً آداب الحوار، ونبذ العنف والتعصب.
  - التسامح الديني: ويشمل التعايش بين الأديان، واحترام حرية المعتقد وحرية التعبير، والانفتاح الفكري باتجاه أصحاب الديانات الأخرى، وحق ممارسة الشعائر الدينية، ونبذ التعصب والكراهية والعنصرية.
  - التسامح الاجتماعي: ويشمل القيم المرتبطة بتعامل الفرد مع مجتمعه، سواء كانوا أفراداً أم مؤسسات ومن أمثلتها: قبول الآخر، والتعاون، والاحترام المتبادل، والتكافل، والإصغاء للآخرين...<sup>(٩)</sup>.
  - التسامح العرقي: ويتمثل في تقبل الآخر على الرغم من اختلاف لونه أو عرقه، ونبذ شتى أشكال وصور التمييز العنصري.
  - التسامح السياسي: ويتمثل في انتهاز الدول نهج مبدأ الديمقراطية وترسيخ المواطنة المتكافئة، وضمان الحقوق والحريات السياسية (الفردية والجماعية).

## أهمية التسامح:

للتسامح أهمية كبرى للفرد والأسرة والمجتمع والإنسانية، لعل من بينها ما يلي:

(٧) يوسف الحسن: التربية على قيم التسامح، www.alkhaleej.ae

(٨) د/ علي أسعد وطقة: فن التربية على التسامح: سوريا: وزارة الثقافة - مجلة المعرفة، س ٤٨، ع ٥٥٣، ٢٠٠٩، ص ١٦ - ٣٨ بتصرف.

(٩) د/ فائزة أحمد الحسيني مجاهد: التربية على قيم التسامح والتعايش مع الآخر، | Prof.dr.FayzaAhmed alhussini Megahed

أن التسامح هو الباني والمُشيد للعلاقات الإنسانية الطيبة على شتى مستوياتها، سواء أكانت بين الأفراد أم الفئات المكونة للمجتمع أم المجتمعات المكونة للكون. فلولا التسامح لظلت العقول والقلوب والأفئدة المبدعة مشغولة بالهموم والغموم وبواعت الانتقام وشطحات العناد، ووسوسة الشياطين.

ولولا التسامح بين الزوجين؛ لانهدمت الأسرة عند أول خلاف، ولضاع ما يترتب على بقائها من: إنجاب النسل والذرية، وتسليم الأجيال بعضها لبعض، ولتأثرت عجلة الحياة وبالتالي عمارة الكون. ولولا تسامح الأسر والعائلات لما استتب الأمن ولما استقرت الحياة الاجتماعية...

ولولا التسامح بين الطوائف الدينية المختلفة لانتشرت الكراهية وتمكنت الطائفية والعنصرية والاستعلاء من هذه الحياة...

ولولا تسامح الدول والشعوب لاستعرت الحروب والصراعات وانتشر القتل والتدمير، الذي يقضي على الأخضر واليابس في هذه الحياة.

وهكذا فإن التسامح هو القيمة العالمية الضامنة لاستقرار الحياة الإنسانية والديمقراطية التي تقوم على الأمن والسلام والمحبة والقبول بمبدأ الاختلاف.

ولقد شاءت إرادة الله الحكيم العليم -جل وعلا- أن يجعل بين الناس قواسم مشتركة (فطرية - دينية - فكرية - عقلية - ثقافية - اجتماعية - حضارية - اقتصادية... إلخ)، لتكون عوناً لهم ومنطلقاً نحو التسامح، والتعايش، والتعاون، والبناء، والإخاء... ذلك لأن الناظر المدقق في تاريخ العمران والحضارات الإنسانية المتعاقبة، والمتأمل في دنيا الناس، يلحظ أن القواسم والمشاركات الدينية والثقافية والحضارية والأخلاقية... إلخ -حال ترسيخ الإيمان بأهميتها ونشر ثقافتها وتفعيلها في حياة الناس- كانت وما تزال وستظل الداعم الكبير للأخوة الإنسانية والتسامح والتكامل والتعايش وإثراء الحياة.

### نماذج من خبرة الحضارة الإسلامية في إيجاد البيئة الحاضنة للتسامح

نشير هنا إلى نماذج مضيئة من تسامح الحضارة الإسلامية، يذكرها التاريخ بالإجلال والفخر، منها:

#### • حماية الإسلام للمعابد والكنائس والأديرة والرهبان وتأكيد حصانتهم:

فعندما وصل النبي (ﷺ) إلى المدينة مهاجراً من مكة المكرمة، أبرم عقداً -وثيقة- يؤاخي فيه بين المهاجرين والأنصار، ويؤمن فيه يهود يثرب على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وعقائدهم... إلخ، وسمح لهم بإقامة شعائرهم الدينية على الوجه الذي يريدون، حتى عندما غدره بنو قينقاع أخرجهم دون أن يأخذ صحفهم التوراتية.

يقول د/ جعفر عبد السلام: "يرى الإسلام أن رجال الدين الذين فرغوا أنفسهم للعبادة، ما داموا لا يحاربون المسلمين، فلا يجوز بأي حال من الأحوال توجيه أعمال القتال إليهم، وقد ورد النص على ذلك صراحة في النصوص الإسلامية الصريحة، وفي وصية الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ليزيد بن أبي سفيان قائد جيوش المسلمين إلى الشام، حيث قال له: "إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله عز وجل، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له".

وهكذا يُبعد الإسلام المعابد والرهبان عن موضع الصراع والقتال والحروب، وأبعدها عنهم، ومن ثم يجب أن تكون هذه القاعدة محترمة ومطبقة في كل الأوقات<sup>(١٠)</sup>. فالإسلام قد أمر بحماية هذه الفئة -التي من المفترض أنها تعمل على خلاف مصلحة المسلمين، حيث تبشر بدين آخر- وهذا دليل دامغ يؤكد على حرية الدين والمعتقد في الإسلام، وتسامح الحضارة الإسلامية مع شتى الفئات المكونة للمجتمع.

بل إن من الأسباب التي تجيز للمسلمين أن يقاتلوا من أجلها، تحقيق حرية العقيدة وحرمة أماكن العبادة، لقوله تعالى: **(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)** (سورة الحج: ٤٠). ويتضح من الآية الكريمة أنه لا فارق بين المساجد وغيرها من أماكن العبادة من ناحية الحرمية<sup>(١١)</sup>.

### • احترام النبي (ﷺ) أصحاب العقائد الأخرى:

وقد تجلّى هذا الاحترام لعقائد أهل الكتاب الآخرين والتلطف بهم في أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام التي تمثل السماحة في أسمى معانيها، وقد حكى القرآن العظيم طرفا منها، فقال تعالى على لسان نبيه الكريم: **(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)** (سبأ: ٢٤)، يقول: **(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)** (الكافرون: ٦). وقال الله تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ...)** (المائدة: ٤٤)، وقال: **(...وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)** (المائدة: ٨٢).

### • سماح النبي (ﷺ) لوفد نصارى نجران بالصلاة في مسجده:

عندما أتى وفد نصارى نجران إلى الرسول (ﷺ) أنزلهم في خير بقاع الأرض -عند المسلمين- وهو المسجد، وقام (ﷺ) على ضيافتهم، وسمح لهم بأن يصلوا في مسجده، مع أن صلاتهم فيها ما ينافي ما جاء به؛ ليدل للعالم كله عملياً على سماحة الإسلام وقبوله الآخر، ليس في إطار المواطنة المحلية فحسب، ولكن في إطارها العالمي الأوسع.

### • إباحة الإسلام تناول طعام أهل الكتاب:

ويتجلى الإقرار بالتنوع الديني في الإسلام، في إباحته مؤاكلة أهل الكتاب أي تناول طعامهم والأكل معهم، يقول تعالى: **(...وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ...)** (المائدة: ٥).

### • إباحة الزواج من أهل الكتاب:

أباح الإسلام للمسلم أن تكون شريكة حياته وربة بيته وأم أولاده غير مسلمة، وأن يكون أخوال أولاده وخالاتهم من غير المسلمين، وكذلك أجدادهم وجداتهم، يقول تعالى: **(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ)** (المائدة: ٥). وهذا يدل على رعاية الإسلام للرحم المشترك والنفس الواحدة التي ننتمي إليها جميعاً.

### • وقوف النبي (ﷺ) أثناء مرور جنازة يهودي:

ومن الأمثلة العملية التي تدل على احترام النبي (ﷺ) للمخالفين معه في الدين وتسامحه، أنه حينما مرّت به جنازة فقام -أي واقفا لها-، فقيل له: **إِنَّمَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ**، فقال (ﷺ): **(أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟)!**<sup>(١٢)</sup>، وهكذا أسس النبي عليه الصلاة والسلام قاعدة احترام المخالفين حياة وأمواتا، وتبقى أقوال النبي (ﷺ) وأفعاله في هذا المضمار نبراساً

(١٠) يجب تفسير هذا الحكم على ضوء القاعدة العامة، وهي عدم جواز قتل من لا يقاتل. راجع أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية للدكتور جعفر عبد السلام، القاهرة: رابطة الجامعات الإسلامية ٢٠٠٨م.

(١١) صبحي محمصاني: القانون والعلاقات الدولية في الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٢ ص ٢٤٠، د/ جعفر عبد السلام (مرجع سابق)، السرخسي المبسوط، القاهرة ١٣٢٤ هـ، (٦٩/١٠) بتصرف.

(١٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

يضىء لنا طريق الأخوة الإنسانية وطريق التسامح والمواطنة العالمية الجامعة في إطار الحفاظ على منظومة التعددية الدينية والثقافية والحضارية للأمم والشعوب.

### • عمرو بن العاص ورعاية أقباط مصر:

لقد أبقى عمرو بن العاص (رضي الله عنه) في مصر على الكنائس، وترك للمسيحيين الحرية المطلقة في ممارسة طقوسهم الدينية، جنباً إلى جنب مع إخوانهم المسلمين، وغيرهم.

### • المسلمون حكموا اليونان عدة قرون، ولم يتحولوا إلى الإسلام:

حكم المسلمون اليونان عدة قرون، فهل صار اليونانيون مسلمين؟ وهل حاول أحد مجرد إرغامهم على اعتناق الإسلام؟ على العكس، فقد تبوأ اليونانيون المسيحيون أعلى المناصب في الإدارة الإسلامية. كما عاش البلغار والصرب والرومان والمجر وشعوب أوروبية أخرى، في بعض الفترات، تحت حكم المسلمين متمسكين بدينهم المسيحي. لم يرغمهم أحد على التحول إلى الدين الإسلامي، وبقوا مسيحيين وليس هناك من دليل مطلقاً على أية محاولة لفرض الإسلام على اليهود.

### • رعاية اليهود في ظل الحكم الإسلامي في إسبانيا وغيرها:

نعم يهود إسبانيا في ظل الحكم الإسلامي بفترة ازدهار لم ينعم بها قط غيرهم من اليهود في أي مكان آخر. فقد نظم شعراء يهود من أمثال أبي الحسن اللاوي بالعربية، ناهيك عن موسى بن ميمون العظيم. وكان في الأندلس وزراء وشعراء وعلماء يهود. ولقد اشتغل العلماء المسيحيون واليهود والمسلمون جنباً إلى جنب في طليطلة المسلمة، مترجمين أمهات المصنفات الفلسفية والعلمية اليونانية القديمة. فقد كان عصرًا ذهبيًا بحق. فهل كان لهذا أن يحدث لو أن النبي (ﷺ) قد سنَّ فعلاً "نشر الدين بالسيف"؟، كما يزعم غير المنصفين!!

### • الإسلام مأمور بحماية المشركين غير المعتدين:

ولم يكتف الإسلام بما سبق فقط، بل إنه أكد أن المجتمع المسلم يجب أن تسوده علاقات الحبة والمودة والوئام وتعايش فيه جماهير المواطنين بشتى أطرافها جنباً إلى جنب في سلام ووئام.. الكل فيه مصان على نفسه وعرضه وعقله وماله... إلخ، وذلك بنص القرآن الكريم، حتى المشرك. يقول الله تعالى: **(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ)** (التوبة: ٦) لم يقل الله تعالى "وإن أحد من المؤمنين" حيث وسَّع الدائرة لتشمل الجميع، فقال: **(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ)** بأن طلب منك الأمن والحماية والرعاية وكل ما من شأنه تحقيق أمنه الجسدي أو النفسي أو الروحي أو الغذائي... إلخ (فأَجِرْهُ) أي أَمِنَهُ وهدئ من روعه، وحقق مراده... ولقد عبَّر الله سبحانه بفعل الأمر المقرون بحرف الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب، ليفيد وجوب إجارته وتأمينه على وجه السرعة، **(حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)**، ثم أسمعناه كلام الله وبيَّنا له الحق وأوضحنا له الحقيقة... أفنكرهه على أن يدخل في ديننا بعد أن أسمعناه؟؟ كلا كلا.. فلا إكراه في الدين **(ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ)**...

وهكذا بنى الإسلام التسامح في علاقاته على أساس متين فلم يضيق ذرعا بالأديان الأخرى وأتباعها، وشرع للمسلم أن يكون حسن المعاملة، رقيق الجانب، لين القول مع المسلمين، ومع غير المسلمين فيحسن جوارهم، ويتعايش معهم في إطار الأخوة الإنسانية والتسامح والسلام والوئام.

فهل عرفت الدنيا أو وعت ذاكرة التاريخ مثل هذا الأفق الرحيب في إيجاد البيئة الحاضنة للتسامح ورعاية المواطنة التشاركية الجامعة التي تعد وبحق سبقاً حضارياً للمسلمين قبل بزوغ فكرة المواطنة في العالم بقرون؟! وهكذا يمكن توظيف خبرة الحضارة الإسلامية في نشر التسامح وتوطينه عالمياً.. وللحديث بقية، وبالله تعالى التوفيق.

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسول الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعالى): **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)** (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ الشُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد يا عباد الله...

## المواطنة العالمية:

بعد ثورة المعلومات والاتصالات الرهيبة، وتحول العالم إلى ما يشبه قرية صغيرة، ذابت فيها الحواجز الزمانية والمكانية، وبعد ظهور التحديات الكبيرة وتتابع المشكلات العالمية الكبرى التي تهدد الكون، وانتشار الصراعات في بؤر متعددة... إلخ، فإن ذلك يدعونا وبقوة إلى تبني المواطنة العالمية التي تركز على فكرة الحقوق العالمية المشتركة، والواجبات العالمية المشتركة، والتضامن المشترك لحماية الكون ومواجهة التحديات التي تواجهه في إطار الأخوة الإنسانية والقواسم المشتركة والإقرار بالتعددية الثقافية والدينية.. إلخ (١٣).

ويرى الباحث أن المواطنة العالمية هي: عبارة عن قيم تشاركية عالمية جامعة، تتخطى الحواجز الزمانية والمكانية والفكرية وعوامل العزلة التي كانت موجودة في الماضي، لتجمع مختلف البشر على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم ومعتقداتهم وتعدد ديانتهم، على مبادئ عامة، يشعرون من خلالها وكأنهم مواطنون في دولة واحدة، لهم نفس الحقوق وعليهم ذات الواجبات، ويتعاونون معًا لإنهاء الصراعات ومواجهة التحديات، والحفاظ على المقدرات والموارد العالمية وتحقيق استدامتها، والسعي الحثيث لتحسين جودة الحياة على مستوى العالم.

## القواسم المشتركة.. ركائز الانطلاق نحو المواطنة العالمية

القواسم المشتركة التي قدّرها الله سبحانه وتعالى بين بني الإنسان وفي الحياة، من عوامل الجذب والتآلف والتقارب، والتي تعد من جليل نعمه على بني الإنسان؛ فلولاها لتكاثفت على بني البشر الخطوب، ولما استقرت الحياة... ذلك لأن المشتركات على اتساعها وتنوعها، تذكرنا دومًا بالأخوة الإنسانية. إنها رسالة من الله تعالى، تذكرنا أننا جميعًا لآدم، وأننا جميعًا من نفس واحدة، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)** (سورة النساء: ١)، كما تذكرنا بدورنا المشترك في إعمار الكون والحياة، قال تعالى: **(...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)** (البقرة: ٢٥١).

فالقواسم المشتركة إذاً هي قاطرة الأخوة، والتسامح، والتفاهم، والتعاون، والتعايش، ويجب أن تنطلق من المنظومة العالمية للأخلاق، باعتبارها رمانة الميزان القادرة على ضبط حركة الإنسان في هذه الحياة، بل هي القوة الذاتية التي تحرك قاطرة السلام والوئام، وحماية الكون والحياة والإنسان والأوطان من الأخطار.

(١٣) Bill Schlesinger :Patriotism in a Globalized World, September ٢٩, ٢٠١٩,  
<https://blogs.nicholas.duke.edu/citizenscientist/patriotism-in-a-globalized-world/>, Posted  
in: biogeochemistry, environmental policy, environmental  
politics, facultyTagged globalism, isolationism, patriotism, Trump

وما أحوج العالم حاليًا إلى هذه الرؤية البانية، سواء في دعم اللُحمة الإنسانية في كل مكان من أرض الله، أو التكاتف والتعاون لحماية الكون من الأخطار التي تحدق به، وتهدد أمنه واستقراره وسلامته. وما الصراعات بين بني الإنسان، والتغيرات المناخية، وزيادة كهربية الأرض، وانتشار الأوبئة المخيفة -التي تستدعي منّا جميعًا أن نكون على قلب رجل واحد لمواجهة- منّا ببعيد...!، ومن هنا نتلمس الحاجة إلى المواطنة التشاركية الجامعة.

الإسلام هو الحقيقة الكبرى، وهو "المنهج الكامل الشامل الصالح لإدارة الكون وإسعاد الحياة، ومن ثم قيادة البشرية إلى نور الحكمة والسعادة" <sup>(١٤)</sup>، والأمة الإسلامية هي أمة الخير والحق والعدل والنور... تنقل صور الخير إلى غيرها من الأمم والشعوب، معلمة ورائدة، منطلقة من قول الحق وتبارك تعالى: **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...)** (آل عمران: ١١٠) <sup>(١٥)</sup>.

لذلك فإن الواجب علينا وعلى المؤسسات المعنية قيادة العالم إلى بر الأمان، من خلال: المنهج الإسلامي العظيم، والقواسم المشتركة في الرسائل، والثقافات والحضارات، باعتبارها منصات ومنطلقات وركائز الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش والسلام، لا سيما وأن الإسلام يؤمن بالتنوع بمعناه الشامل، ويعتبر أن الرسائل السماوية التي جاء بها رسل الله جميعًا "وحدة" لا تحتمل التفرقة، وكلها تستهدف غاية واحدة <sup>(١٦)</sup>، وبالتالي فإن ذلك يدفعنا إلى القيام بدورنا الحضاري في هذه الحياة؛ لقيادة الحياة إلى رشدها ورشادها...

### تصوير لحالة التسامح في مصر:

ويصور أمير الشعراء أحمد شوقي (رحمه الله)، حالة عظيمة في التسامح والتعايش في مصر، منطلقة من فلسفة القواسم والمشاركات التي أرادها الله، بقوله:

|                                                 |                                                  |
|-------------------------------------------------|--------------------------------------------------|
| إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْحَيَاةَ وَضَدَّهَا      | جَعَلَ الْبَقَاءَ لَوَجْهِهِ إِكْرَامًا          |
| قَدْ عَشْتُ تُحَدِّثُ لِلنَّصَارَى أُلْفَةً     | وَتُحَدِّدُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَثَامًا       |
| الْحَقُّ أَبْلَجُ كَالصَّبَاحِ لَنَاظِرٍ        | لَوْ أَنَّ قَوْمًا حَكَمُوا الْأَحْلَامَا        |
| أَعْهَدْتَنَا وَالْقَبْطَ إِلَّا أُمَّةً        | لِلأَرْضِ وَاحِدَةً تَرُومُ مَرَامَا؟            |
| نَعْلِي تَعَالِيمَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِهِمْ      | وَيُوقِرُونَ لِأَجْلِنَا الْإِسْلَامَا           |
| الدِّينُ لِلدِّينِ جَلَّ جَلَالُهُ              | لَوْ شَاءَ رَبُّكَ وَحَدَّ الْأَقْوَامَا         |
| يَا قَوْمُ، بَانَ الرُّشْدُ فَاقْصُوا مَا جَرَى | وَحُذُوا الْحَقِيقَةَ، وَانْبِذُوا الْأَوْهَامَا |
| هَذَا رُبُوعَكُمْ، وَتِلْكَ رُبُوعَنَا          | مُتَقَابِلِينَ نَعَالِجَ الْأَيَامَا             |
| هَذَا قُبُورَكُمْ، وَتِلْكَ قُبُورُنَا          | مُتَجَاوِرِينَ جَمَاعِمًا وَعِظَامَا             |
| فَبُحْرَمَةُ الْمَوْتَى، وَوَاجِبُ حَقِّهِمْ    | عِشُوا كَمَا يَقْضَى الْجَوَارُ                  |

كراما <sup>(١٧)</sup>.

وهكذا انطلق أمير الشعراء شوقي في هذه القصيدة من فهم عميق لمرامي المنهج الرباني الرامي إلى الإقرار بحرية المعتقد، والعيش المشترك، في إطار عام من التسامي والتسامح، والتركيز على تصوير ما يجمع ولا يفرق، ومن بينها:

(١٤) د/ محمود إبراهيم الديك: الإسلام وفقه الحياة، الجزء الثاني، القاهرة: مكتبة الأديب كامل كيلاني، ٢٠٠٦، ص ١٥٣. بتصرف.

(١٥) توفيق محمد سبيح: نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني الجزء الثاني، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، جمادى الآخرة ١٣٩١هـ - أغسطس ١٩٧١م، ص ٣٥٨.

(١٦) د/ محمد يوسف موسى: الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٢٠.

(١٧) قصيدة قبر الوزير، تحية وسلاما لأمير الشعراء/ أحمد شوقي.

الحياة والموت، وحقوق الجوار، ومواجهة الشدائد... إلخ، ذلك أن الإسلام والرسالات السماوية تدعم السلام وتكره الصراع، وتبغض الحروب، وفي المشتركات المسعف لتحقيق الأمن والسلام.

### المشتركات في إطار الحوارات الأكاديمية.. وثقافة التسامح:

لقد أثبتت الشواهد العلمية والعملية والواقع أن الحوارات الأكاديمية المنبثقة من المشتركات الدينية والثقافية، هي من أنجع الوسائل التي تُسهم في تحسين العلاقات، وإيضاح الصورة الحقيقية لكل القضايا، ومن ثم يمكن أن تؤدي المنظمات الدولية الإسلامية دوراً محورياً فاعلاً في التقارب بين بنى البشر، ونشر ثقافة القواسم المشتركة، وما ينجم عنها من تعزيز ثقافة التسامح ومن ثم السلام، وذلك يتطلب سن القوانين الدولية لمنع ازدراء الأديان؛ حتى لا يتمكن أعداء السلام من بذر بذور الكراهية في أرض الله.

### القواسم المشتركة.. وحبال التسامح:

المشتركات الإنسانية على تنوعها، هي الحبال المفتولة الموصولة بين شتى المكونات البشرية، وهي الرابط المتين، والداعم لقاطرة التسامح، والعلاقات الإنسانية الرشيدة.

والمشترك الديني يُعدُّ أساساً "للرؤية الكبرى" والمواطنة العالمية التي يمكن تؤسس وتشيد علاقات أفضل بين شعوب العالم في المجالات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والبيئية، والتكنولوجية، والفكرية والثقافية... إلخ، ومن هنا يلزم استثمارها وتوظيفها، والبناء عليها وتنميتها باستمرار، حتى نسهم في بناء المواطنة العالمية الجامعة، وتطويرها على الدوام، في إطار الاحترام الكامل للتنوع والتعددية بمعناها الشامل.

### توظيف المشترك لإثراء التجربة الإنسانية والحضارية وتعزيز التسامح:

المشتركات الثقافية والدينية كفيلة ببناء العلاقات الإنسانية على أسس رشيدة، من خلال: إظهار ما بين مختلف الحضارات والثقافات، والرسالات السماوية من معاني ومبادئ وأحكام وقيم مشتركة، مثلت وتمثل قواسم موحدة للحياة.

توظيف رؤية المشترك في إثراء التجربة الإنسانية والحضارية بشكل عام<sup>(١٨)</sup>. رصد المشتركات الدينية، والثقافية، والقانونية، والاقتصادية وغيرها، وتفعيلها لتكون فكرًا عالميًا تستفيد منه البشرية بشكل عام.

توظيف المشترك في تطوير العلاقات بين مختلف الدول والشعوب وتنميتها. إبراز المشتركات في شتى المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والقانونية؛ بهدف تحقيق "وحدة" يمكن أن تلتف حولها البشرية لإقامة العلاقات الدولية على أسس سليمة وتعاونية<sup>(١٩)</sup> يسودها التسامح. لذلك فإن التعرف على مفهوم المشترك، وجذوره، وتطوره التاريخي، وأنواعه وطبيعته من الأهمية بمكان، فالمشترك الديني -باعتباره أساساً لمنظومة عالمية للأخلاق- يمكن أن يتضمن عددًا من الموضوعات، ومنها: التشريع الإسلامي ومكارم الأخلاق - الدين المسيحي وإرساء القيم - موقف الدين اليهودي من مبادئ الأخلاق - الأخلاق في الحضارات والثقافات المختلفة.

(١٨) وفي هذا المقام نتذكر بالعرفان جهود عالم جليل، أسهم بسهم وافر في قضية دعم القواسم المشتركة بين أتباع الأديان والحضارات، وهو أ.د/ وجدي أحمد زيد (رحمه الله)، الذي شغل عدة مناصب منها: الملحق الثقافي المصري الأسبق في الولايات المتحدة الأمريكية، والرئيس الأسبق لمركز اللغات وأستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة، والخير السابق برابطة الجامعات الإسلامية، والذي يُعدُّ واحدًا من رواد المشترك الثقافي والإنساني في العالم، كرَّس جهوده (محليًا ودوليًا)؛ من خلال كتاباته وعلاقاته والمؤتمرات والفعاليات الدولية التي نفذها، والتي أثَّرت عن عدة أنشطة مهمة، كانت من اللبانات المهمة لهذه القضية العالمية بالغة الأهمية.

(١٩) د/ وجدي أحمد زيد: أطروحة المؤتمر الدولي: نحو منظومة عالمية للأخلاق: المشترك الديني، القاهرة: رابطة الجامعات الإسلامية، ٢٠١١م.

المشترك الإنساني في مجال حماية البيئة، حيث يمكن أن يوحد أهداف العالم إزاء هذه القضية وما يستجد فيها، من خلال مبادئ حماية البيئة في التشريع الإسلامي، والميراث الإنساني لمختلف الأديان والثقافات، وحماية البيئة على ضوء المستجدات الدولية، ومشكلات التغيرات المناخية والبيئة.

وثمة سلسلة طويلة من الموضوعات التي يمكن أن تشملها قاطرة المشترك الإنساني العام، فضلا عن المبادئ والمشاركات الاقتصادية التي أرسنها الأديان السماوية والحضارات الإنسانية، ومن بينها: العدالة التعويضية، وتحريم الاستغلال والظلم والغش والرشوة والاحتكار... وأيضا المشترك القانوني في الشريعة الإسلامية والقانون الروماني وغيرهما، وكذلك المشترك الثقافي، والأخلاقيات الحاكمة لثقافة البشر في مختلف الحضارات، والفنون والآداب بمختلف أنواعها.

### استثمار المفهوم الكونية المشتركة في بناء المواطنة العالمية وترسيخ التسامح والتعاون:

تعاين البشرية من عدة مشكلات كبرى (طبيعية، اقتصادية، اجتماعية، صحية... إلخ، ناهيك عن الحروب والصراعات العرقية والعنصرية، الأمر الذي يدعونا بقوة إلى ضرورة تكاتف البشرية جمعاء؛ للتعاون من أجل القضاء على الحروب والصراعات، ومواجهة التحديات، والمحافظة على شتى مفردات البيئة والطبيعة والكون، والحفاظ على التوازن البيئي الذي خلقه الله في هذه الحياة، وعدم الإخلال به بأي صورة من الصور.

يقول رسول الله (ﷺ): (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا ارَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا) (٢٠). ففي هذا الحديث الشريف يبين الرسول العظيم معالم المسؤولية الكونية بمعناها الدقيق، والحقوق والواجبات المشتركة، ولا ريب في أنَّ العالم أجمع مطالب باتباع مثل هذه المعالم؛ حتى تنجو سفينة البشرية إلى بر الأمان، وإلا لازداد الخرق على الراقع، كما حدث في مشكلة ثقب الأوزون، وما ترتب عليها من مشكلات عالمية، وتغيرات مناخية خطيرة، أثرت تداعياتها على كثير من نواحي الحياة في العالم!!.

وتبقى القواسم المشتركة بمفهومها الواسع تجربة بشرية فريدة، وميزة نوعية، وقيمة مضافة، تُسهم - حال تمكين ثقافتها في شتى أنحاء العالم والتربية عليها - في نمو الحياة وتقدمها، وتقضي على الأنانية والعنصرية والصراع، وتبني علاقات إنسانية رشيدة في إطار الحقوق والواجبات العالمية، يسودها التسامح والسلام والوئام...

ويظل السؤال الملح على خُلدنا: هل يمكن أن نتعلم التسامح؟ وكيف نعلمه للآخرين؟ وهو ما يتناوله الباحث في المبحث التالي.

## التربية على قيم التسامح وبناء المواطنة العالمية (رؤى ممارسات عملية حديثة)

عند الحديث عن التربية على قيم التسامح، وضرورة تمكينها محلياً وعالمياً، يدور في الذهن أسئلة منطقية وجوهرية، وهي:

ما الفرق بين التربية والتعليم؟ وهل التسامح فطري، أي أن الإنسان يولد مزود به، أم أنه مكتسب؟ وكيف يمكن أن يتعلمه الإنسان إن لم يكن فطرياً؟، وكيف تتم التربية على قيم التسامح وبناء المواطنة العالمية؟ وفي السطور القادمة يقدم الباحث الإجابة على هذه التساؤلات على النحو الآتي:

### بين التربية والتعليم:

التربية ليست مطابقة للتعليم، فالتعليم يكتفي بنقل المعلومات والإمداد بالقدرات والمهارات، بينما تهتم التربية بتهديب السلوكيات وتقويم التصرفات وتحسين الأخلاقيات.

إن التربية هي جوهر التعليم وأساسه، وكلما حصل فك الارتباط بينهما، آل الأمر إلى نوع من الاختلال؛ فالإنسان كائن أخلاقي، وكل تعليم يستبعد التربية ولا يعتني بالمواصفات التي سيكون عليها سمات المتعلمين وسلوكهم، إنما يخل بالشرط الجوهر الذي يكمن في الدور القيمي الأخلاقي للتربية.

والتربية ليست مجرد مواد تُدرس أو مضامين تلقن، بل إنها مسار إنساني متكامل تؤدي فيه شخصية المعلم القدوة دوراً أساسياً، فقد يكون أمراً يسيراً أن تدرس الرياضيات أو الأحياء، ولكن الصعوبة تظهر عندما نحاول أن ننشأ الأجيال على سلوكيات إيجابية متسامحة. ولهذا كانت التربية هي المهتم الدائم في كل ما يصيب الإنسانية من انحرافات وأزمات، وحتى حين تقتضي الطبيعة الاستعجالية لبعض الأزمات اللجوء إلى علاجات سريعة تستهدف الأعراض كالوسائل الزجرية، فإن التعويل الأكبر يظل على كشف العلاقة الخفية بين المنظومة التربوية وبين تلك الانحرافات<sup>(٢١)</sup>.

### هل التسامح فطري أم مكتسب؟

وقبل الإجابة على هذا التساؤل، يقدم الباحث مجموعة من الحقائق، وهي:

أولاً: أن الناظر المدقق في دنيا الناس وفي الشواهد التاريخية، يلحظ حقيقة مؤداها أن الله - سبحانه وتعالى - فطر بعض الناس في شتى الأزمنة والأمكنة على التسامح، بشكل أبهر الدنيا وأبجح الحياة، وكان هؤلاء القدوات للآخرين في التسامح.

ثانياً: أن الرسائل السماوية قاطبة التي جاء بها المرسلون، استهدفت نشر أنبل الأخلاق وأعظم القيم ومن بينهما قيمة التسامح.

ثالثاً: أن الناظر المدقق في حال الأمم وما كان يعج فيها من صراعات وإغارات وحروب قبل بعثة النبي أو الرسول، وما حدث بعد انتشار دعوته وتماها، يجد بين أتباعه والمؤمنين به تسامحاً كبيراً لم يكن موجوداً من قبل.

رابعاً: أن سيدنا محمداً (ﷺ) أرسله الله تعالى إلى قوم وفي وقت بلغت فيه البشرية وقتئذ شأواً غيهاً<sup>(٢٢)</sup>، فحوهم الله برسائله من الخوف والتعصب والصراع والقتال إلى الرحمة والتسامح والتعايش حتى أصبحوا مضرب المثل في ذلك.

(٢١) راجع كلمة: فضيلة الشيخ/ عبد الله بن الشيخ الحفوظ بن بيه: التربية على التسامح السبيل لمكافحة التطرف، الإمارات العربية المتحدة: منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، ص ١-٢

(٢٢) كان حال البشرية قبيل مولد النبي محمد (ﷺ)، في ترد سحق وقتئذ... جاهلية خيمت بظلالها الوخيمة على شتى نواحي الحياة (الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والسياسية،...)، واستبداد واستغلال، وفهر وظلم، وصراعات مقيتة، وحروب لا تنتهي، وما تاريخ حرب (البسوس)، وحرب (ذاجس والغبراء) منّا بعيداً؟، حرب (البسوس)

وكان البشرية كانت في انتظار هداية من رحم الغيب تُغيّر وجه العالم، وتقضى على ظلامه الدامس وظلماته المخيفة، وتنيره بأنوار المحبة والعدل والتسامح والسلام...

لقد تجلت حكمة الله تعالى حتى لا تستمر البشرية في غيها في هذا الصراع المدمر؛ لذلك فإن الله برحمته وحنانه وجوده وكرمه ومنته أراد أن ينقذ البشرية من نفسها، ويحدد لها الطريق السوي الذي يكفل لها السلامة والأمان، والتقدم والازدهار، والنهوض والعمران، وهذا ما حدث بالفعل بإرساله النبي الكريم لإنقاذ البشرية، فبدل خوفهم أمناً، وظلامهم نوراً، وقسوتهم رحمة، وجورهم عدلاً، وتعصبهم تسامحاً (٢٣).

نخلص من ذلك أن التسامح إذاً يمكن أن نتعلمه ونربي المواطنين على قيمه وتطبيقاته. صحيح أن بعضه فطري وبعضه مكتسب، ولكن الشواهد التاريخية في تسامح المسلمين مع غيرهم، والتي أشرنا إليها من قبل، تدل على أن المنهج الإسلامي الذي جاء به النبي الكريم، وطرائقه التربوية التي استخدمها مع الصحابة ومع سائر الناس، وجهوده في خلق بيئة حاضنة للتسامح، كانت جميعها من الأسباب الرئيسة التي أسهمت في اكتساب التسامح وترسيخه في قلوب المؤمنين، وزرعه في قلب المجتمع المحلي والعالمي.

### أهمية التربية على التسامح والتحضير الإنساني لممارسته وبناء المواطنة العالمية:

التربية يمكنها أن تحمل الأمل بالتسامح والسلام في عالم أتهكته الصراعات وأثقلته مظاهر التعصب والتطرف والأنانية والعنصرية. فهناك اليوم أنماط وأشكال وصيغ ومنهجيات تربوية واعدة بالتحضير الإنساني للسلام والإخاء والتفاهم بين الأفراد والجماعات والأمم، حيث تشكل التربية المسالمة اليوم وبالضرورة منطلقاً حيويًا لمواجهة العنف والحرب والتعصب في العالم المعاصر.

ووفقاً لهذا التصور الجديد فإن التربية يمكنها أن تبني أجيالاً جديدة قادرة على التفاعل الإنساني، ومجهزة للعيش في عالم مختلف متنوع الثقافات والديانات والعقائد والإثنيات في إطار المواطنة العالمية. إذ يمكن لهذه التربية أن تعمل بآليات جديدة على تنشئة الأجيال الجديدة بروح جديدة مخضبة بقيم التسامح والقبول بالآخر والانفتاح عليه، والعمل معاً نحو بناء المواطنة العالمية.

فعلما الذي نعيش فيه مذهل بأبعاده الإنسانية الجديدة، إنه عالم تتصافر فيه العولمة والعالمية والأهمية، تتقارب فيه الأمم وتنكمش معه الحدود - كما ذكر آنفاً - وتتغير فيه الأشياء على إيقاعات ضوئية اقتضاها اتحاد الزمان والمكان في عقدة كونية واحدة. فالحدود الجغرافية بين الدول تسقط وتغيب تدريجياً، ويزدوب جليد الثقافات في مسار التقارب والتلاحم، ووفقاً لهذا المشهد الكوني تضعنا هذه التحولات وتلك التغيرات الثقافية والسياسية والاجتماعية في مواجهة حقيقية مع التعدد والتنوع في الثقافة والقيم وأنماط الحياة. وهو تنوع قائم على مبدأ الصيرورة الحافظة التي تدمر الصيغ التقليدية للوجود الإنساني وتؤدي إلى ظهور أنماط اجتماعية جديدة قائمة على عناصر التعدد والتنوع الثقافي والاجتماعي (٢٤).

نشبت بسبب ناقة دخلت حمى رجل، فكسرت بيض حمام، فرمى صرّعها بسهم، فقتله صاحبها، فدارت الحرب الضروس أربعين سنة، حتى ضربت العرب بشؤمها المثل، وحرب (ذاجس والغبراء) حدثت لأسباب بين قبيلتين ثم توسعت بين قبائل كثيرة، بسبب أن فرساً سبقت أخرى في سباق، واستمرت لمدة أربعين سنة!! لقد أُمست الأمور -والحالة هذه- على نحو غريب، حيث سيادة مفهوم البقاء للأقوى، وانحسار الأمن، والنف الخوف وعدم الاستقرار... نعم كان العالم يعيش في دياجر التيه والظلام، وكان في انتظار من ينقذه من التردّي السحيق في الاعتداء على حقوق الإنسان وغيره، ولعل دفن البنات أحياء فيما عُرف بـ "وأد البنات" مخافة العار، مظهر مظاهر العيب آنذاك!! راجع: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ): كتاب مجمع الأمثال، بيروت: دار المعرفة، ج ٢، ص ١١٠، ص ٤٣٩

(٢٣) د/ أحمد علي سليمان: مظاهر الحياة قبيل مولده الشريف لماذا كانت البشرية في انتظار (محمد) (ﷺ)؟ القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، مجلة الأزهر، عدد: ربيع الأول ١٤٤٣هـ - أكتوبر/نوفمبر ٢٠٢١م، ص ٤٤٧.

(٢٤) د/ علي أسعد وطفة: فن التربية على التسامح (مرجع سابق)، ص ١٧ وما بعدها بتصرف.

ومن هنا فلا مناص إذًا من الارتكاز على فكرة المواطنة العالمية الجامعة التي يتشارك العالم كله في بلورة أهدافها الجديدة وقيمتها وآلياتها ومن أهمها: الحفاظ على المعتقدات والإرث الحضاري للدول والشعوب، والتشارك والتعاون العالمي لمواجهة الأخطار المحدقة بالعالم، ونشر التسامح والتراحم والتلاحم بين أبناء الكون، وبذل الجهود في سبيل تحقيق ذلك. وتبقى التربية على التسامح، فضيلة تمنع التعدي على حقوق الآخرين، وحرياتهم، وتحول دون نشوب نزاعات عنيفة، وبالتسامح يمكن مواجهة تنامي التعصب، والفتن الطائفية والمذهبية، وهي فتن تهدد الأمن الوطني والقومي والإنساني على حد سواء. وبالتسامح أيضًا يمكن مواجهة الغرور والاستعلاء، سواء كان على مستوى شخصي أو وطني أو دولي، ديني أو سياسي أو اجتماعي.

لقد أصبح واضحًا مفهوم التسامح، ومحدداته القانونية في المواثيق الدولية، والتشريعات الداخلية، وفي الأدبيات السياسية، وقد آن الأوان، لترسيخ هذا المفهوم، في مناهجنا التربوية والتعليمية ووسائل إعلامنا الجديد والتقليدي، وإنشاء هيئات وطنية وإقليمية للتسامح، أسوة بجمعيات حقوق الإنسان، ومكملة لها، تعمل على تحقيق السلم المجتمعي، ومواجهة التعصب، وبناء اللحمة الوطنية وترسيخ مفاهيم المواطنة، وتعزيز العلاقات الصحية بين مختلف مكونات المجتمع (٢٥).

### الدولة ودورها المحوري في تعليم قيم التسامح والتربية عليه:

إن الحاضن الأساس لمفهوم التسامح، هي الدول، ومن خلالها يتم التربية على التسامح، وشرعنة قيمه؛ ليصبح ثقافة مجتمعية وعالمية سائدة، تنبذ التمييز والتطرف والعنف والإقصاء والكرهية. وفي هذا الإطار، فإن الحاجة لإشاعة قيم التسامح، وبثها في فكر المواطن وثقافته وسلوكه، ضرورة ملحة، وذلك من خلال توفير بيئة تعليمية وتربوية، وظروف موضوعية لتعميق مبادئ المواطنة المتساوية، واحترام الكرامة الإنسانية، وهي كرامة أسبق من كل انتماء أو هوية حضارية، وهي أيضًا حصانة أولية للإنسان، ثابتة له، بوصفه إنسانًا كرمه خالقه، وجعله خليفة في الأرض. وأمدته بقدرات وإمكانات لإعمارها وإصلاحها (٢٦) ومن ثم نرى ضرورة تكامل جهود الدول في إطار أو كيان أممي منظم له مظلة واسعة؛ للتربية على التسامح، والمواطنة العالمية وفق فلسفات وبرامج مبدعة تراعي التطورات والمستجدات والتحديات وترعى في الوقت نفسه التعددية الفكرية والثقافية والدينية والحضارية.

فالتسامح مشروع ثقافي تربوي يفرض نفسه في المجتمعات الإنسانية متعددة الثقافات والقوميات والإثنيات مشروع ثقافي يستهدف احتواء التناقضات الاجتماعية والثقافية وتوظيفها إنسانيًا في دورة الحياة الديمقراطية، إنه مشروع ثقافي تربوي يناشد العلاقة الإنسانية بين الأنا والآخر ليستلهم كل أشكال الغنى والخصوبة من صلب التنوع والتعدد، وهذا المشروع سيكون قادرًا على أن يغتنى ويغنى ويثمر في مجال التربية على التسامح.. وهنا يجب أن تتكامل جهود السياسيين والمربين في التحضير والتأصيل لعملية استحضار قيم التسامح في دورة الحياة الحقيقية (٢٧). ومن ثم فلا بد أن توظف الدول أجهزتها التربوية والإعلامية والدينية والثقافية في إطار تكاملي لبناء التسامح والتربية عليه لدى المواطنين عامة، ولدى النشء خاصة، من خلال استثمار الدراما والألعاب الإلكترونية وأفلام الكرتون لتأثيرها الكبير جدًا على الأطفال.

(٢٥) يوسف الحسن: التربية على قيم التسامح (مرجع سابق).

(٢٦) المرجع السابق

(٢٧) فن التربية على التسامح (مرجع سابق)، ص ٣٢

## العوامل المساعدة على تعليم فن التسامح:

هناك مجموعة من العوامل التي يمكن أن تساعد في التربية على التسامح، ومنها:  
استحضار منهجية دقيقة وفعالة تمكننا من ترجمة مفهوم التسامح إلى صورته العملية والأدائية في مجال الممارسة التربوية، تقوم على مبدأ الممارسة الواقعية في مجال العمل التربوي وتؤسس أداة عملية لتأصيل التسامح في مجال التربية المدنية، وتؤكد في الوقت نفسه على الدور الحاسم الذي يمكن للتربية على الديمقراطية والتسامح أن تؤديه في عالم شديد التنوع والتعدد.

ترسيخ المفاهيم الأساسية لمبدأ قبول الآخر والإيمان بضرورة وجوده وأهميته، فتعليم المهارات الاجتماعية التي تؤسس لفن التسامح ينبغي أن يشمل المستويات العقلانية والعاطفية والعملية المختلفة.  
ضرورة المعرفة المعمقة لمفهوم التسامح بدلالاته ومعانيه ومن ثم اكتساب القدرة على السلوك التسامحي ومن ثم امتلاك القدرة على توظيف هذه المعرفة وهذا السلوك في مواقف خلافية تتطلب ممارسة التسامح.  
أن يدرك الفرد نتائج ممارسته التسامحية ويقبل بنتائجها (٢٨).

## كيف نولد ممارسات تسامحية نشطة؟

هناك نسق من القدرات التي يمكن الإبداع في توظيفها لتوليد ممارسات تسامحية نشطة، ومنها:  
- تعزيز القدرة على الحوار والتواصل والاستماع إلى وجهات نظر الآخر والإيمان بحقوقه وتقدير حاجاته.  
- تنمية القدرة على تقبل الرأي الآخر.  
ترسيخ القدرة على توظيف نماذج سلوكية ديمقراطية من أجل تنظيم الخلاف واحتواء النتائج المترتبة عليه.  
- توليد معرفة بالذات قائمة على أن الإنسان بتكويناته الذاتية لا يتصف بالكمال، وأن مواقفه ورؤاه وتصوراتهِ وتفسيراته معرضة للخطأ والزلل والنقص والانحياز (٢٩)، وأن الكمال المطلق لله وحده.

## تربية الطلاب على التسامح (رؤى وممارسات حديثة):

- ولتحقيق تربية الطلاب المنشودة على قيم التسامح يقترح الباحث بعض الرؤى والممارسات الحديثة الآتية:
- بث المعارف التسامحية، وبناء المهارات التربوية الضرورية لهذه الغاية، وذلك من أجل بناء الحياة الاجتماعية وتأصيل مقوماتها على مبدأ التسامح وقبول الآخر على مبدأ المساواة والحقوق الإنسانية المشتركة (٣٠).
  - تدريب المعلمين على استخدام مداخل التدريس التي تجذب انتباه الطلاب، وتنمي فيهم قيم المواطنة والتسامح والتعايش مع الآخر مثل: مدخل السير والتراجم، والمدخل القصصي، ومدخل الطرائف، ومدخل التراث... مع الحرص على الربط بين الأمثلة الواردة في الكتاب المدرسي بالبيئة المحلية من أجل ربط الطالب بمجتمعه (٣١).
  - إبراز مفهوم التسامح وقيمه ومبادئه بشكل عام، وأهمية التسامح والتعايش بين الأديان والثقافات، بشكل نظري وتطبيقي في المناهج والمقررات والبرامج والأنشطة وطرائق التدريس وأساليب التقويم... وغيرها، لترسيخ هذه الثقافة بين الجميع.

(٢٨) راجع: د/ علي أسعد وطفة، التربية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، الكويت: جامعة الكويت، دار السياسة، ١٩٩٨م، ص ٢١١ - ٢٨٦.

(٢٩) د/ علي أسعد وطفة: فن التربية على التسامح (مرجع سابق)، ص ٣١ - ٣٢.

(٣٠) انظر: دوغلاس ري وآخرون، تعليم حقوق الإنسان من منظور دولي، الكويت: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٨م.

(٣١) د/ فائزة أحمد الحسيني مجاهد: التربية على قيم التسامح والتعايش مع الآخر (مرجع سابق).

- الاهتمام بالمدخلات المعرفية التسامحية للأطفال التي تشكل مكوّنهم المعرفي والثقافي بوصفها ضرورة حيوية لتنظيم السلوك بعيداً عن كل أشكال العنف، وتنمية القدرة على التنظيم السلمي للحياة، ذلك أن المكون المعرفي الفردي ثم الجمعي هو الذي يوجه الحضارات. ومن ذلك -على سبيل المثال- أن نعلم أطفالنا ضمن المكونات المعرفية في المجتمع الإسلامي:
- أن القرآن الكريم يذكر أهمية حماية دور العبادة لليهود والمسيحيين في نفس الآية مع مساجد المسلمين، وأن كبار العلماء من أصحاب الرسول (ﷺ) قالوا إنّ حماية دور عبادتهم لا تخص أصحاب هذه الديانات فقط بل إنّها مسؤولية المسلمين أيضاً، ارتقاءً بالتسامح إلى مستوى التضامن وحرصاً على إيجاد شروط التعددية وإبعاد دور العبادة عن الخصومة.
- نعلمهم الإيمان والتعايش والدين والسلام، ويجب أن تتساكن، كما يمكن للمواطنة والتعددية أن تقلب المعادلة ليكون الانتماء الديني حافزاً لتجسيد المواطنة وتحييد سلبيات تأثير عامل الاختلاف الديني عليها.
- نعلمهم أن المسلمين حكموا أجزاء كثيرة من العالم قروناً وضربوا أروع الأمثلة في التسامح، ولم يُرغموا أحداً على اعتناق الإسلام؛ بل ظلّ كثير منهم على دينهم.
- تعليم الطلاب لغة موضوعية للحوار البناء بحيث يُنتج مزيداً من التسامح والتفاهم وقبول الآخر، بعيداً عن سوء تأويل الأفكار وافتراض الخطأ من الجانب الآخر وما ينجم عن ذلك من سوء في الفهم وضياح للحقيقة.
- تمرين الطلاب في مراحل الطفولة والشباب على ممارسة قيم التسامح والانفتاح، وتعزيز الوعي بالتضامن مع ضحايا العنف والغلو والتكفير والانغلاق.
- اطلاع الأجيال على ثقافات الدول، وأنماط معيشتها، وحضائنها، وحضاراتها، وخبرات الدول التي تنتهج نهج التعايش والتسامح وتبدع فيه.
- إعادة النظر في الفلسفات والبرامج التربوية والتعليمية والإعلامية الموجهة للأطفال، لاسيما وأن رصيد طفل اليوم من المعرفة فاق الحدود، ومن ثمّ يمكن النظر فيما يُقدم له من برامج إعلامية وألعاب إلكترونية بما يسهم في تربيته على أنماط التسامح والتعايش.
- الاهتمام بالأنشطة التي تعزز ثقافة الاختلاف والتعددية في المجتمع، وتربية المواطنين عليها منذ الصغر، حيث إنّ ذلك يسهم في إيجاد مجتمع متسامح.
- إعداد المناهج المحفزة وبناء الاستراتيجيات الضرورية القادرة على تعليم المحبة والتسامح والتربية عليه وممارسته بطريقة فعالة.
- تعليم الطفل وتمكينه من الدفاع عن أفكاره، وعلى قبول أفكار الآخرين واحترامها، وتعليمهم آداب الحوار وأنماط التفكير من أجل الوصول إلى الحقيقة، وليس هزيمة الطرف الآخر.
- الاهتمام بالتربية الحياتية التي تنمي قدرة الطالب وتفكيره الناقد، على التعاطي الإيجابي مع الحياة بشقي مكوناتها وتنوعها.

### كيف نربي مواطني العالم على التسامح؟

إنّ تعليم التسامح والتربية عليه، سواء على المستوى المحلي أو العالمي، مشروع بعيد المدى طويل الأجل، ويحتاج جهوداً ضخمة، وهو مشروع استراتيجي لا يهتم الأمن القومي المحلي فقط بل يخص الأمن الأممي والعالمي

برمته، ومن أجل تأصيل هذا التعليم وتحويله إلى طاقة حيّة وخلاقة، فإنه يتوجب التحرك النسقين المحلي والعالمي، في إطار كيان دولي يجمع كل دول العالم لتحقيق التربية العالمية على التسامح، وتعزيز فكرة المواطنة العالمية والمسؤولية الجماعية تجاه الكون.

ولتحقيق ذلك يقترح الباحث ما يلي:

### أولاً: إنشاء المفوضية العالمية للتربية على التسامح

المفوضية العالمية للتربية على قيم التسامح -والتي اقترحت إنشاءها في المؤتمر الثاني والثلاثون للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية (عقد المواطنة وأثره في تحقيق السلام المجتمعي والعالمي)، تحت رعاية السيد الرئيس/ عبد الفتاح السيسي رئيس الجمهورية، فبراير ٢٠٢٢م، وبحضور أكثر من ٣٠٠ وزير أوقاف ومفتي من شتى أنحاء العالم- تمثل مشروعاً حضارياً وإنسانياً كبيراً، هدفه غرس ثقافة التسامح في النفوس، وتعزيز العيش المشترك، وبناء جسور من التفاهم بين الشعوب. فالعالم اليوم في أمس الحاجة إلى مؤسسة مرجعية تساهم في نشر قيم التسامح عبر التعليم والإعلام والثقافة والتشريع، ليصبح التسامح لغة عالمية مشتركة تقي البشرية من الصراعات وتنشر السلام.

أقترح إنشاء المفوضية العالمية للتربية على التسامح على غرار المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، بحيث يكون لها مكاتب تمثيلية في شتى دول العالم، ويكون من بين مهامها، ما يأتي:

- التأكيد على عالمية الكرامة الإنسانية، واحترام الاختلاف والتنوع والتعددية الدينية والعرقية والثقافية..... إلخ بين سائر البشر، وإزالة كل ما من شأنه الإساءة إلى الآخر من المناهج الدراسية ومن القوالب الإعلامية.
- وضع فلسفة تربوية عالمية للتسامح، تتسم بالمرونة وسهولة التحقيق والتطبيق على أرض الواقع، وإكسابها صفة الإلزامية، ومراقبة تطبيقها، وبذل الحوافز للدول التي تلتزم بها.
- وضع الأطر النظرية والتطبيقية والممارسات الناجمة للتربية على التسامح، مع مراعاة خصوصية ثقافة المجتمعات المختلفة حول العالم.
- رصد النصوص المتعلقة بموضوع التسامح في شتى الأديان والحضارات والثقافات، وبلورتها في برامج تربوية وإعلامية، وفي الدراما وأفلام الكرتون والألعاب الإلكترونية وغيرها.
- إجراء المسابقات العالمية وتنظيم المعارض الفنية والأنشطة الثقافية والتربوية التي تعزز وترسخ من قيم التسامح، ورصد الجوائز العالمية لشحذ همم النشء والشباب في العالم على ممارسة التسامح، وابتكار ممارسات جديدة لترسيخه في كل مكان في العالم.
- تقديم التفسير الصحيح للنصوص التي يقدمها المتعصبون والمتطرفون والتي تقف حجر عثرة ضد التسامح والتعايش.
- استثمار القواسم المشتركة والمشارك الإنسانية العام باعتباره مخرجاً آمناً للبشرية، وطريقاً يمكن تعبيده؛ لدعم التسامح والحوار والعيش المشترك، والإسهام في بناء العلاقات الإنسانية وترسيخها على مبادئ الأخوة الإنسانية وتبادل الخبرات بين بني البشر، ومن ثم إيجاد بيئة خالية من الصراعات، ومواتية لعمليات التقدم والازدهار للجميع.
- تفكيك بنية خطاب العنصرية والكراهية وتصحيح المفاهيم التي قد تؤجج العلاقات بين البشر.

- تعزيز قيمة التعددية<sup>(٣٢)</sup> بمعناها الشامل واعتبار رسالات الأنبياء جميعاً "وحدة" لا تحمل التفرقة، وكلها تستهدف غاية واحدة وهي تحقيق الخير للبشرية ولا ريب أن ذلك من المقومات الأساسية لنجاح أي جهد محلي أو إقليمي أو عالمي في سبيل ترسيخ التسامح والإخاء والسلام العالمي.
  - وضع المعايير العالمية (العلمية والعملية) للأنشطة والفعاليات والتطبيقات التربوية التي ترسخ قيم التسامح بشكل ميسور وقابل للتطبيق والتحقيق، وبصورة تتصف بطابع الديمومة.
  - إعداد تقرير سنوي عن حالة التسامح في شتى دول العالم، ومواجهة التحديات التي تواجه تعليم التسامح في بعض الدول.
- ثانياً: الاستفادة من خبرات بعض الدول**

دراسة ثقافة بعض الشعوب التي تفصل تماماً بين عوامل الاختلاف وبين مظاهر المودة والعلاقات العادية التي تسمو على كل الخلافات وترتفع عن المهاترات وتبقى دائماً صافية لا يخبو نورها أبداً، والاستفادة منها وتعميمها كما هو الحال في الشعب السوداني والشعب العماني الشقيقين وغيرهما.

**ثالثاً: إعداد مضادات قوية لعلاج التطرف بشتى صوره وأشكاله، تركز على العلاجات التربوية والثقافية.**

ونقول دائماً مع السيد/ فريدريكو مايور المدير السابق لمنظمة اليونسكو: "فلنمارس التربية على التسامح في مدارسنا، في جامعاتنا، في بيوتنا، وفي مواطن عملنا، وبخاصة في قلوبنا وفي أرواحنا".  
نسأل الله أن يبارك في أوطاننا ويحفظها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلام وإسلام. اللهم من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.  
اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهر قلوبنا من الكبر، وزينها بالتواضع، اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (... الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ...) (الأعراف: ٤٣) ... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع ... وبالله تعالى التوفيق

## خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

### عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)  
المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كتّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: [drsoliman55555@gmail.com](mailto:drsoliman55555@gmail.com)

تم تدشين صفحة #معارج الدعوة للدكتور أحمد علي سليمان، للإسهام في إثراء العمل الدعوي والدعاة يرجى متابعتها ونشرها

<https://www.facebook.com/share/16u1EDacEw/?mibextid=LQQJ4d>

(٣٢) يرى د/ مصطفى الفقي، أن ثقافة التعددية والاختلاف إذا كانت متجذرة، فإنها تعطينا بشكل مباشر من التصعيد الذي قد يصل بنا إلى ميلاد خلاف حاد بعد أن كنا أمام اختلاف موضوعي، ولا شك أن وفرة المعلومات لدى الطرفين يمكن أن تساعد في توضيح الرؤية، وإزالة أسباب اللبس، وتصفية المشاعر من كل ما يؤدي نحو خطاب الكراهية. ويؤكد على ضرورة الارتقاء بلغة الاختلاف إلى مستواها الذي يسمو بها عن السقوط في مستنقع الخلاف، ولن يتحقق ذلك الأمر إلا بالعودة إلى التقاليد الأصيلة في الحضارات المختلفة التي تناولت آداب الحوار، وأنماط النقاش بدءاً من المجالس النبائية الأولى في الحضارات الكبرى، وصولاً إلى المؤسسات العلمية والكيانات الأكاديمية التي ترعى تلك التقاليد، وتحافظ على ثقافة الاختلاف، صحيفة الأهرام ٢٨ ديسمبر ٢٠٢١م، ص ١٠.